

الأقسام في القرآن

(163) رحم الله شيخنا الوالد آية الله الشيخ محمد حسين السبحاني (1299-1392هـ) فقد كان في أواخر أيام عمره طريح الفراش فزارته ابنته "فاطمة" وكنت أرافقها فسألناه عن حاله فأنشد بيتاً من لامية العجم للطغرائي وقال: ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بطل غير منتقل أمّ الكلام حول الدنيا ومصاعبها وما احتضنت من التعب والوصب، فيكفي في ذلك قراءة خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ننقل منها هذه الشذرات: "أمّاً بعد، فإنّي أُحذركم الدنيا، فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة. وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا توّمن فجعتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكّالة غوّالة، لا تعدو - إذا تناهت إلى أُمّنية أهل الرغبة فيها والرضاء (الرضى) بها - أن تكون كما قال الله تعالى سبحانه: (كَمَاءٍ أُنْزِلَ لَهُ مِنْ السَّمَاءِ فَآخَتْ لِطَافِئِهِ زَبَاتُ الْإِلَاحِ وَأَصْدَحَّهَا شَيْمًا تَذَرُوهُ الرِّيحَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) (1) لم يكن امرؤٌ ومنها في حيرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق في سرّائها بطناءً، إلاّ منحته من ضرّائها ظهراً. (2) وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى: "ألا وإنّ الدنيا قد تصرّمت، وآذنت بانقضاء، وتنكّرت معروفها، وأدبرت حذّاء، فهي تحفز بالفناء سكّانها (ساكنيها)، وتحدو بالموت جيرانها، وقد أمرّ فيها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً، فلم يبق (تبق) منها إلاّ سملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلّة، لو تمرّزها الصّديان لم ينقع. فأزمعوا عباد الله الرحيل عن _____ 1 - الكهف: 45. 2 - نهج البلاغة، الخطبة: 111.